هذه صفحات من هذا الكتاب المبتكر

مواعظ
الأمام ابن قيم الجوزية

وقد إستئذناه - حفظه الله - في
تصوير "بعض" صفحات كتبه فأذن جزاه الله خيراً

تصوير

marthad.wordpress.com
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

نشر على موقع الألوكة

معالم في التربية والدعوة

مواعظ
الأمام ابن قيم الجوزية

(٦٩١ - ٧٥١ هـ)

قام بجمعها
صالح أحمد الشامي

المكتب الإسلامي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

المكتب الإسلامي
بيروت: ص.ب: ١١/٣٧٧١ - هاتف: ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
دمشق: ص.ب: ١٣٠٧٩ - هاتف: ١١١٦٣٧
عمّان: ص.ب: ١٨٢٠٦٥ - هاتف: ٤٦٥٦٦٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على سيدنا محمد النبي الأمي، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبَعْـد:

فهذه باقة أخرى من المواعظ والحكم، تأخذ مكانها في سلسلة «معالم في التربية والدعوة» لعلَم من أعلام المسلمين ذو خبرة واسعة في هذا الميدان. فقد كثر إنتاجه في هذا الباب وتعددت مؤلفاته. ويكفي أن نذكر منها:

كتاب طريق الهجرتين.

وكتاب مدارج السالكين.

وكتاب الداء والدواء.

وكتاب الفوائد.

وكتاب إغاثة اللهفان.

وغيرها...

وهو ـ في كتبه كلها ـ لم يفوت مناسبة تمر معه. يجد فيها مكاناً لبيان خطأ شائع فيحذر منه. أو بيان خير فيدعو إلى المسارعة إليه، إلا ويسجل ذلك، حتى ولو اضطره ذلك إلى استطراد يخرجه عن موضوعه. والذين تعاملوا مع كتبه يعرفون ذلك من أسلوبه ومنهجه.

ولعالِمنا ـ رحمه الله ـ أسلوبه المتميز بالرصانة والجمال، والمتميز أيضاً بالنَّفَس الطويل، إذ لا يكتفي بتسجيل الفكرة أو الموضوع، إلا بعد أن يشفعه بالدليل والحكمة والتعليل، مما يجعل الحصول على المواعظ القصيرة التي تتناسب مع موضوع هذه السلسلة أمراً يحتاج إلى البحث والتفتيش.. وهو ما يسَّر الله القيام به لتدوين هذه المواعظ.

وهي وإن كانت قليلة العدد فهي كبيرة الفائدة، عظيمة النفع لمن أراد الاستفادة والعمل.

والله المرجو أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يجعل أعمالنا خالصة له، إنه نعم المسؤول، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٢ ربيع الأول سنة ١٤٢١هـ — كتبه

٢٠٠٠/٦/٤م — صالح أحمد الشامي

ترجمة ابن القيِّم

هو الإمام المحقق الحافظ شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي، المعروف بـ«ابن قيم الجوزية» نسبة إلى المدرسة التي أنشأها يوسف بن عبد الرحمن الجوزي، حيث كان أبوه قيماً عليها، واشتهر باسم «قيم الجوزية».

ولد سنة (٦٩١هـ) في قرية زرع [ازرع] من قرى حوران، ثم انتقل إلى دمشق وتتلمذ لعلمائها.

ولازم شيخ الإسلام ابن تيمية ملازمة تامة بعد عودته من مصر إلى دمشق سنة (٧١٢هـ) إلى أن توفي الشيخ سنة (٧٢٨هـ).

وقد أتيح له بهذه الملازمة استماع أراء الشيخ واجتهاداته، ولم يقتصر على إفادة العلم من شيخه، بل استفاد أيضاً تعلم طريقته في الاستدلال والمناقشة، وقد تأثر بأسلوبه في الكتابة وتحرير المسائل.

وأهم ما استفاد منه: دعوته إلى الاعتصام بكتاب الله عز وجل، والسنة الصحيحة، وفهمهما على طريقة السلف الصالح.

وقد أصابه ما أصاب شيخه من أذى، فقد اعتقل معه في قلعة دمشق، ولم يفرج عنه إلا بعد وفاة الشيخ رحمه الله.

وقد استمر على محبة شيخه بعد وفاته، وتابع منهجه في سيرته وعلمه.

وقد كان ـ رحمه الله ـ صاحب عبادة وتهجد وطول صلاة، حتى قال ابن كثير في حقه:

«لا أعرف في هذا العالم، في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جداً، ويمد ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان، فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك، رحمه الله تعالى».

وقد ذكر مترجموه من أمور عبادته وزهده وصدق لهجته الشيء الكثير.

أما مؤلفاته فكثيرة جداً، طبع منها أكثر من ثلاثين مؤلفاً.

توفي ـ رحمه الله ـ في شهر رجب سنة (٧٥١هـ) وصُلي عليه بجامع دمشق الكبير.

شهادات

ولاستكمال التصور عن شخصية ابن القيم، يحسن بنا أن نتوقف قليلاً، لنستمع إلى أقوال بعض العلماء فيه:

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني:

«كان جريء الجنان، واسع العلم، عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف».

وقال العلامة ابن رجب الحنبلي:

«ما رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه. وهو ليس بمعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله».

وقال القاضي برهان الدين الزرعي:

«ما تحت أديم السماء أوسع علماً منه» والمراد في عصره.

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير:

«كان ملازماً للاشتغال ليلاً نهاراً، كثير الصلاة

والتلاوة، حسن الخلق، كثير التودد، لا يحسد ولا يحقد..».

وقد مر في ترجمته بعض شهادته.

وقال ابن العماد الحنبلي:

«هو المجتهد المطلق، المفسر، النحوي، الأصولي، المتكلم.. تفنن في علوم الإسلام، وكان عارفاً بالتفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين وإليه فيه المنتهى، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله، والعربية وله فيها اليد الطولى، وبعلم الكلام وغير ذلك، وعالماً بعلم السلوك..».

محاور الوعظ عند ابن القيم

محاور الوعظ مشتركة عند العلماء، كما سبق القول بذلك، إذ الغاية لديهم واحدة وهي الوصول إلى الإيمان والاستقامة، كما جاء ذلك في الحديث الشريف.

ولكنه بحسب الوضع الاجتماعي، ونوعية الأمراض التي تغلب عليه أو تنتابه، تكون مهمة العالم في تقديم العلاج المناسب مع مراعاة دفع الأخطر منها بحسب سلم الأولويات، ومن هنا تبرز اهتمامات العالم في التأكيد على بعض الأمور أكثر من غيرها..

وعندما نقف أمام مواعظ ابن القيم تبرز محاور كثيرة، منها:

١ ـ التزام الكتاب والسنة:

فهو يتألم من إعراض الناس عنهما، والتحاكم إلى غيرهما، واللجوء إلى القياس والاستحسان وأقوال الشيوخ، الأمر الذي نتج عنه فساد في الفطرة، وظلمة في القلوب..

فلا بد من الرجوع إليهما، للرجوع إلى الطريق المستقيم، إذ المعرض عن السنة مبتدع ضال، شاء أم أبى.

ولا بد من ملازمة القرآن، إذ هو الشفاء لأمراض القلوب، المتمثلة في الشهوات والشبهات.

٢ ـ السعادة:

كثيراً ما تحدث عن السعادة والسعي في طلبها، إذ هي غاية ما يطلبه المسلم.

ويرى أنها تقوم على ثلاثة أركان: الشكر على النعم، والصبر عند الابتلاء، والاستغفار عند الذنب.

ولأمر ما جعل هذه المسألة مقدمة لكتابه «الوابل الصيب» الذي يتناول أمر الذكر والدعاء، وما ذاك إلا ليلفت النظر إليها، ويسلط الضوء عليها.

٣ ـ العناية بأمر القلوب:

يجعل ابن القيم جل اهتمامه موجهاً إلى القلب، فهو يتوقف للحديث عنه في كل مناسبة. بل إنه خصه بالجزء الأول من كتابه «مصايد الشيطان» حيث تحدث عن صحته ومرضه وعلاجه، بل إنه ألف كتاباً عنوانه «طب القلوب».

ومع ذلك، فإن للقلب في كل موضوع يتناوله

نصيباً، والمثال على ذلك، موضوع الطهارة، فالطهارة، عنده طهارتان: طهارة البدن، وطهارة القلب، فطهارة البدن بالماء، وطهارة القلب بالتوبة، فإذا حصلت الطهارتان صلح الإنسان للوقوف بين يدي الله تعالى ومناجاته.

والمعاصي لها آثارها على القلب، فهي تؤدي إلى فساده وقسوته.

وكل العوارض التي تنتاب البدن تنتاب القلب، ومن هنا كانت مراقبته والعناية به أمراً لازماً، للمحافظة على سلامته.

٤ ـ المحافظة على الوقت:

فإضاعة الوقت أشد من الموت، لأن الموت يقطعك عن الحياة وأهلها وإضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة.

وقد تكلم العلماء في هذه القضية كثيراً، وتوقفوا عندها كثيراً، ذلك أن الوقت هو رأس مال الإنسان، الذي ينبغي ألا يبدده فيما لا فائدة فيه.

٥ ـ مراعاة الأولويات:

وفقه الأولويات من الأمور التي تأخذ مساحة واسعة من دائرة اهتمام الإمام ابن القيم. ابتداء من

محاسبة الإنسان نفسه، التي ينبغي أن تكون على الفرائض أولاً ثم على المناهي، ثم على الغفلة.. وانتهاء بأولويات الدعوة إلى الله، حيث ينبغي على الداعية ألا يأمر الناس بترك الدنيا، بل يأمرهم بترك الذنوب أولاً، لأن ترك الذنوب فريضة، وترك الدنيا فضيلة، والفريضة مقدمة على النافلة.

٦ ـ مراعاة التلازم بين العلم والعمل:

فلا نفع بالعلم بلا عمل، ولا نفع بالعمل بلا إخلاص.

وهذه قضية أساسية في سلوك المسلم، ينبغي عليه أن يضعها نصب عينيه إذ هي لازمة له في كل عمل يقوم به. حتى يكون مقبولاً عند الله تعالى.

٧ ـ إخلاص التوحيد لله تعالى:

فأنفع العمل: هو الذي تغيب فيه عن الناس بالإخلاص، وعن نفسك بشهود المنة، فلا ترى فيه نفسك ولا ترى الخلق.

بل المنة لله تعالى أن جعلك قائماً بطاعته.

واذكر أن أساس كل خير: أن تعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وبناء على ذلك: فالحسنات من نعمه تعالى، والسيئات من خذلانه.

فعليك أن تشكره على النعم، وتبتهل إليه أن يحول بينك وبين الخذلان.

٨ ـ التحذير من المشاقَّة:

فإذا كان الله ورسوله ﷺ في جانب، فاحذر أن تكون في الجانب الآخر، فإن ذلك يفضي إلى المشاقة والمحادَّة. ولكن كن في الجانب الذي فيه الله ورسوله، وإن كان الناس كلهم في الجانب الآخر.

وهذا أصل عظيم، بالتزامه تكون النجاة في الدنيا والسعادة في الآخرة.

٩ ـ التمسك بالهدي النبوي:

حرص ابن القيم على دعوة الناس إلى التمسك بالهدي النبوي الشريف، والتزام ذلك. بحيث يكون ﷺ بالنسبة لكل مسلم: هو الإمام والمعلم والشيخ والقدوة.. وذلك بمطالعة سيرته ﷺ والتزام سنته.. حتى يكون المسلم معه ﷺ كواحد من أصحابه.

وبهذا تكون الصلة مباشرة بين المسلم وبين نبيه ﷺ.

ويضع ابن القيم في سبيل ترجمة ذلك عملياً، كتابه الفذ «زاد المعاد» الذي يطلق عليه أيضاً اسم «الهدي النبوي» ليضع القارئ فيه أمام أفعاله ﷺ

وأقواله، وباتباع ذلك يكون التأسي به ﷺ الذي أمر به القرآن الكريم.

ولذا فنحن لا نجد أنفسنا في هذا الكتاب أمام كتاب فقه يتعامل مع الفروض والسنن والواجبات والمكروهات والمبطلات، من حيث كونها مصطلحات فقهية، إنما أمام الفعل الذي فعله ﷺ، والقول الذي قاله.. أمام هديه ﷺ في كل أمور الحياة..

وهكذا وضع ابن القيم عملياً كيفية الاتصال المباشر به ﷺ عن طريق التزام هديه، وهذا المسلك من أبن القيم محاولة جادة في رد المسلمين إلى الأصول، والتزام منه بالتطبيق العملي لقوله ﷺ:

(تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله وسنة نبيه ﷺ).

وهذا الخط ملازم لابن القيم في وعظه ونصحه وإرشاده..

تلك هي بعض محاور الوعظ عند ابن القيم، اكتفي بذكرها، وأترك للقارئ الكريم التعرف على محاور أخرى من خلال وقوفه على بعض مواعظه رحمه الله.

مواعظ الإمام ابن القيم

سعادة العبد

قال أبو عبد الله:

الله سبحانه وتعالى المسؤول المرجو الإجابة: أن يتولاكم في الدنيا والآخرة، وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وأن يجعلكم ممن:

إذا أنعم الله عليه شكر.

وإذا ابتلي صبر.

وإذا أذنب استغفر.

فإن هذه الأمور الثلاثة هي عنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه، ولا ينفك عبد عنها أبداً[1].

شروط الانتفاع بالقرآن

قال أبو عبد الله:

---

(١) هذه مقدمة الإمام لكتاب الوابل الصيب.

إذا أردت الانتفاع بالقرآن:

فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه.

وألق سمعك.

واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه.

فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله، قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[1][2].

إضاعة الوقت

قال أبو عبد الله:

إضاعة الوقت أشد من الموت.

لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة.

---

(١) سورة ق: الآية ٣٧.

(٢) الفوائد، ص٥.

والموت يقطعك عن الحياة وأهلها[1].

شفاء القرآن

قال أبو عبد الله:

جماع أمراض القلب، هي أمراض الشبهات والشهوات، والقرآن شفاء للنوعين:

ففيه من البينات والبراهين القطعية، ما يبين الحق من الباطل، فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك، بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه.

وأما شفاؤه لمرض الشهوات، فذلك بما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب، والتزهيد في الدنيا، والترغيب في الآخرة، والأمثال والقصص التي فيها أنواع العبر والاستبصار[2].

الإقرار بالتقصير

قال أبو عبد الله:

---

(١) الفوائد، ص٦٤.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٧٣ ـ ٧٥ تحقيق محمد عفيفي، المكتب الإسلامي.

طوبى لمن أنصف ربه فأقر له بالجهل في علمه.

والآفات في عمله.

والعيوب في نفسه.

والتفريط في حقه.

والظلم في معاملته.

فإن أخذه بذنوبه رأى عدله، وإن لم يؤاخذه بها رأى فضله.

وإن عمل حسنة رآها من منّته وصدقته عليه، فإن قبلها فمنةً وصدقة ثانية، وإن ردَّها فلكون مثلها لا يصلح أن يواجه به.

وإن عمل حسنة رآها من تخلّيه عنه، وخذلانه له، وإمساك عصمته عنه، وذلك من عدله فيه.

فيرى في ذلك فقره إلى ربه، وظلمه في نفسه، فإن غفرها فبمحض إحسانه وجوده وكرمه[1].

للعبد ستران

قال أبو عبد الله:

---

(١) الفوائد، ص٦٨.

للعبد ستر بينه وبين الله، وستر بينه وبين الناس.

فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله، هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس[1].

باب الإفلاس

قال أبو عبد الله:

أقرب باب يدخل منه العبد على الله تعالى هو باب الإفلاس.

فلا يرى لنفسه حالاً، ولا مقاماً، ولا سبباً يتعلق به، ولا وسيلة منه يمنُّ بها.

بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف والإفلاس المحض، دخول من كسر الفقر والمسكنة قلبه، وشهد ضرورته إلى ربه عز وجل.

فلا طريق إلى الله تعالى أقرب من العبودية، ولا حجاب أغلظ من الدعوى[2].

منازل السائرين

قال أبو عبد الله:

---

(١) الفوائد، ص٦٤.

(٢) الوابل الصيب، ص٢٣.

أول منازل القوم: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[1].

وأوسطها: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[2].

وآخرها: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾[3][4].

النجاة من النار بعفوه تعالى

قال أبو عبد الله:

قال غير واحد من السلف:

ينجون من النار بعفو الله ومغفرته.

ويدخلون الجنة بفضله ونعمته ومغفرته.

ويتقاسمون المنازل بأعمالهم[5].

رياض الجنة

قال أبو عبد الله:

---

(١) سورة الأحزاب: الآيتان ٤١، ٤٢.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٤٣.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤٤.
(٤) الفوائد، ص٧٠.
(٥) مفتاح دار السعادة ١/ ١١٩ طبعة دار ابن عفان.

حديث ابن عمر عن النبي ﷺ: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا) قالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: (حِلَق الذكر، فإن لله سيارات من الملائكة يطلبون حِلَق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم)[1].

قال عطاء: مجالس الذكر، مجالس الحلال والحرام، كيف يشتري ويبيع، ويصوم ويصلي، ويتصدق، وينكح ويطلق، ويحج[2].

قواعد الدين

قال أبو عبد الله:

الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام:

- صبر على الأوامر والطاعات، حتى يؤديها.

- وصبر على المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها.

- وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها.

قال الشيخ عبد القادر:

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥١٠).
(٢) مفتاح دار السعادة: ١/ ٣٨٦.

لا بد للعبد من أمر يفعله، ونهي يجتنبه، وقدر يصبر عليه.

ومرجع الدين كله إلى هذه القواعد الثلاث:

- فعل المأمور.
- وترك المحظور.
- والصبر على المقدور[1].

لا تذمّ الدنيا

قال أبو عبد الله:

الدنيا في الحقيقة لا تذم، وإنما يتوجه الذم إلى فعل العبد فيها، وهي قنطرة أو معبر إلى الجنة أو إلى النار.

ولكن لما غلبت عليها الشهوات والحظوظ والغفلة، والإعراض عن الله والدار الآخرة، فصار هذا هو الغالب على أهلها وما فيها، وهو الغالب على اسمها، صار لها اسم الذم عند الإطلاق.

وإلا فهي مبنى الآخرة ومزرعتها، ومنها زاد

(١) عدة الصابرين، طبعة دار الكتاب العربي، ص٤٦، ٤٧.

الجنة، وفيها اكتسبت النفوس الإيمان، ومعرفة الله ومحبته وذكره ابتغاء مرضاته.

وخير عيش ناله أهل الجنة في الجنة، إنما زرعوه فيها. وكفى بها مدحاً وفضلاً.

لأولياء الله فيها من قرة العيون، وسرور القلوب، وبهجة النفوس، ولذة الأرواح، والنعيم الذي لا يشبهه نعيم: بذكره ومعرفته ومحبته وعبادته، والتوكل عليه والإنابة إليه، والأنس به..

وفيها كلامه ووحيه وهداه، وروحه الذي ألقاه من أمره.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

الدنيا، دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ومطلب نجح لمن سالم.

فيها مساجد أنبياء الله، ومهبط وحيه، ومصلى ملائكته، ومتجر أوليائه. فيها اكتسبوا الرحمة، وربحوا فيها العافية.

فمن ذا يذمها وقد آذنت بنيها، ونعت نفسها وأهلها؟!

ذمها قوم غداة الندامة.

وحمدها آخرون: ذكرتهم فذكروا، ووعظتهم فاتعظوا[1].

باعث الهوى وأثره

قال أبو عبد الله:

الإنسان إذا غلبَ صبرُه باعثَ الهوى والشهوة، التحق بالملائكة.

وإن غلب باعثُ الهوى والشهوة صبرَه، التحق بالشياطين.

وإن غلب باعثُ طبعه من الأكل والشرب والجماع صبرَه، التحق بالبهائم[2].

طهارتان

قال أبو عبد الله:

جعل الله سبحانه بحكمته الدخول عليه موقوفاً على الطهارة:

(١) عدة الصابرين، طبعة دار الكتاب العربي، ص٢١٣، ٢١٤.
(٢) المصدر قبله، ص٣٩.

فلا يدخل المصلي عليه حتى يتطهر.

وكذلك جعل الدخول إلى جنته موقوفاً على الطيب والطهارة، فلا يدخلها إلا طيب طاهر.

فهما طهارتان: طهارة البدن، وطهارة القلب.

ولهذا شرع للمتوضئ أن يقول عقب وضوئه: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين[1].

فطهارة القلب بالتوبة.

وطهارة البدن بالماء.

فلما اجتمع له الطهران، صلح للدخول على الله والوقوف بين يديه ومناجاته[2].

آثار المعاصي

قال أبو عبد الله:

قلة التوفيق، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونَفْرَة الخلق،

(١) أخرجه الترمذي (٥٥)، وابن ماجه (٤٧٠).
(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٩٢.

والوحشة بين العبد وبين ربه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب.

ومحق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الذل، وإهانة العدو، وضيق الصدر.

والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت.

وطول الهمِّ والغم، وضنك العيش، وكسف البال..

تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله، كما يتولد الزرع عن الماء، والإحراق عن النار[1].

تلازم

قال أبو عبد الله:

لو نفع العلم بلا عمل، لما ذم الله سبحانه أحبار أهل الكتاب.

ولو نفع العمل بلا إخلاص، لما ذم المنافقين.

وقال:

(١) الفوائد، ص٦٧.

من لم ينتفع بعينه، لم ينتفع بأذنه[1].

أكمل الخلق

قال أبو عبد الله:

أكمل الخلق أكملهم عبودية، وأعظمهم شهوداً لفقره، وضرورته وحاجته إلى ربه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين.

ولهذا كان من دعائه ﷺ:

(اللهم أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك[2])[3].

الشهوات

قال أبو عبد الله:

شهوات الدنيا كـ«لعب الخيال»[4] ونظر الجاهل مقصور على الظاهر، فأما ذو العقل فيرى ما وراء الستر[5].

(١) الفوائد، ص٦٤، ٦٥.
(٢) أخرجه الإمام أحمد، المسند ٥/ ٤٢.
(٣) تقريب طريق الهجرتين إعداد صالح الشامي، المكتب الإسلامي ص٧٨.
(٤) هو شبيه بمسرح الدمى.
(٥) الفوائد، ص٨٧.

وقال:

كيف يكون عاقلاً من باع الجنة بما فيها بشهوة ساعة؟[1]

الإعراض عن الكتاب والسنة

قال أبو عبد الله:

لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة إليهما، واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما، وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ، عرض لهم من ذلك فساد في فطرتهم. وظلمة في قلوبهم، وكدر في أفهامهم، ومحق في عقولهم.

وعمتهم هذه الأمور وغلبت عليهم، حتى ربا فيها الصغير، وهرم عليها الكبير، فلم يروها منكراً[2].

محبطات الأعمال

قال أبو عبد الله:

محبطات الأعمال ومفسداتها أكثر من أن تحصر.

(١) الفوائد، ص٦٥.

(٢) الفوائد، ص٨٨.

وليس الشأن في العمل، وإنما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه.

فالرياء ـ وإن دق ـ محبط للعمل، وهو أبواب كثيرة لا تحصر.

وكون العمل غير مقيد باتباع السنة أيضاً، موجب لكونه باطلاً.

والمنّ به على الله تعالى بقلبه مفسد له.

وكذلك المنّ بالصدقة والمعروف، والبر والإحسان والصلة مفسد لها، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[1].

وأكثر الناس ما عندهم خبر من السيئات التي تحبط الحسنات[2].

تقوى الله وحسن الخلق

قال أبو عبد الله:

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٤.

(٢) الوابل الصيب، ص٣١.

جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق[1]:

لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه.

وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه.

فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته[2].

توالي القرون على الدنيا

قال أبو عبد الله:

عرضت الدنيا على النبي ﷺ بحذافيرها، وتعرضت له، فدفع في صدرها باليدين، وردها على عقبيها.

ثم عرضت بعده على أصحابه، وتعرضت لهم، فمنهم من سلك سبيله، ودفعها عنه، وهم قليل، ومنهم من استعرضها وقال: ما فيك؟ قالت: فيَّ الحلال والشبهة والمكروه والحرام. فقالوا: هاتي حلالك ولا حاجة لنا فيما عداه، فأخذوا حلالها.

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦).
(٢) الفوائد، ص١٠٠.

ثم تعرضت لمن بعدهم، فطلبوا حلالها فلم يجدوه، فطلبوا مكروهها وشبهها، فقالت: قد أخذه من قبلكم، فقالوا: هاتي حرامك، فأخذوه.

فطلبه من بعدهم، فقالت: هو في أيدي الظلمة قد استأثروا به عليكم، فتحملوا على تحصيله منهم بالرغبة والرهبة، فلا يمد فاجر يده إلى شيء من الحرام إلا وجد أفجر منه وأقوى قد سبقه إليه.

هذا وكلهم ضيوف، وما بأيديهم عارية.

فالضيف مرتحل والعارية مؤداة[1].

مراتب المحرمات

قال أبو عبد الله:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

فرتب المحرمات أربع مراتب:

(١) عدة الصابرين، ص٢٦٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية ٣٣.

ـ وبدأ بأسهلها، وهو الفواحش.

ـ ثم ثنى بما هو أشد تحريماً منه، وهو الإثم والظلم.

ـ ثم ثلث بما هو أعظم تحريماً منهما، وهو الشرك به سبحانه.

ـ ثم ربَّع بما هو أشد تحريماً من ذلك كله، وهو القول عليه بلا علم.

وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه[1].

التشهد عند الموت

قال أبو عبد الله:

لشهادة «أن لا إلّه إلا الله» عند الموت تأثير عظيم في تكفير السيئات وإحباطها. لأنها شهادة من عبد موقن بها، عارف بمضمونها، قد ماتت منه الشهوات، ولانت نفسه المتمردة، وانقادت بعد إبائها واستعصائها، وأقبلت بعد إعراضها وذلت بعد عزها، وخرج منها حرصها على الدنيا وفضولها.

(١) إعلام الموقعين ١/٤٦ طبعة دار الكتاب العربي.

واسْتَحْذَت بين يدي ربها وفاطرها ومولاها الحق أذل ما كانت له وأرجى ما كانت لعفوه ومغفرته ورحمته، وتجرد منها التوحيد بانقطاع أسباب الشرك وتحقق بطلانه.

فزالت منها تلك المنازعات التي كانت مشغولة بها، واجتمع همها على من أيقنت بالقدوم عليه والمصير إليه.

فوجهَ العبدُ وجهه بكليته إليه، وأقبل بقلبه وروحه وهمه عليه، فاستسلم وحده ظاهراً وباطناً، واستوى سره وعلانيته، فقال: «لا إله إلا الله» مخلصاً من قلبه، وقد تخلص قلبه من التعلق بغيره والالتفات إلى ما سواه.

قد خرجت الدنيا كلها من قلبه، وشارف القدوم على ربه، وخمدت نيران شهوته، وامتلأ قلبه من الآخرة، فصارت نصب عينيه، وصارت الدنيا وراء ظهره.

كانت تلك الشهادة الخالصة خاتمة عمله.

فطهرته من ذنوبه، وأدخلته على ربه، لأنه لقي ربه بشهادة صادقة خالصة، وافق ظاهرها باطنها، وسرها علانيتها.

فلو حصلت له الشهادة على هذا الوجه في أيام الصحة، لاستوحش من الدنيا وأهلها، وفرَّ إلى الله من الناس، وأنس به دون ما سواه.

لكنه شهد بها بقلب مشحون بالشهوات وحب الدنيا وأسبابها، ونفس مملوءة بطلب الحظوظ، والالتفات إلى غير الله.

فلو تجردت كتجردها عند الموت، لكان لها نبأ آخر، وعيش آخر سوى عيشها البهيمي[1].

الرزق والأجل

قال أبو عبد الله:

فرغ خاطرك للهمِّ بما أمرت به، ولا تشغله بما ضُمِنَ لك.

فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان، فما دام الأجل باقياً، كان الرزق آتياً.

وإذ سدَّ عليك بحكمته طريقاً من طرقه، فتح لك برحمته طريقاً أنفع لك منه[2].

(١) الفوائد، ص١٠١.

(٢) الفوائد، ص١٠٣.

أكمل مراتب العبودية

قال أبو عبد الله:

إن الله عز وجل شرع الصلوات الخمس إقامة لذكره، واستعمالاً للقلب والجوارح واللسان في العبودية، وإعطاء كل منها قسطه من العبودية التي هي المقصود بخلق العبد.

فوضعت الصلاة على أكمل مراتب العبودية[1].

عندما يكون المال في اليد

قال أبو عبد الله:

وجود المال في يد الفقير لا يقدح في فقره، إنما يقدح في فقره رؤيته لملكته.

فمن عوفي من رؤية الملكة لم تلوث باطنه أوساخ المال وتعبه وتدبيره واختياره، وكان كالخازن لسيده الذي ينفذ أوامره في ماله.

فهذا لو كان بيده أمثال جبال الدنيا لم يضره[2].

(١) الوابل الصيب، ص٤٠.

(٢) تقريب طريق الهجرتين: ص٨٢.

المحتوى

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
ترجمة ابن القيم	٥
شهادات	٧
محاور الوعظ عند ابن القيم	٩
مواعظ الإمام ابن القيم	
سعادة العبد	١٧
شروط الانتفاع بالقرآن	١٧
إضاعة الوقت	١٨
شفاء القرآن	١٩
الإقرار بالتقصير	١٩
للعبد سران	٢٠
باب الإفلاس	٢١
منازل السائرين	٢١
النجاة من النار بعفوه تعالى .	٢٢
رياض الجنة	٢٢
قواعد الدين	٢٣
لا تذم الدنيا	٢٤
باعث الهوى وأثره	٢٦
طهارتان	٢٦
آثار المعاصي	٢٧
تلازم	٢٨
أكمل الخلق	٢٩
الشهوات	٢٩
الإعراض عن الكتاب والسنة	٣٠
محبطات الأعمال	٣٠
تقوى الله وحسن الخلق	٣١
توالي القرون على الدنيا	٣٢
مراتب المحرمات	٣٣
التشهد عند الموت	٣٤
الرزق والأجل	٣٦
أكمل مراتب العبودية	٣٧
عندما يكون المال في اليد ..	٣٧
الوليد يتبع أمه	٣٨
الشغل بالنفس	٣٨
خطوتان	٣٨

الموضوع	الصفحة
الالتفات في الصلاة	٣٩
الاجتماع وأسباب الرحمة	٤٠
حتى زرتم المقابر	٤١
النفس المطمئنة	٤١
من أبواب النار	٤٢
أنفع العمل	٤٣
الصلاة المقبولة	٤٣
هجر القرآن	٤٤
الصوم	٤٥
شكوى الجاهل	٤٥
أساس كل خير	٤٦
غنى النفس	٤٧
العوارض التي تنتاب القلب	٤٧
الأمور بخواتيمها	٤٨
النية ومعترك الشيطان	٤٩
دواوين الظلم	٤٩
موقفان بين يدي الله	٥٠
المعرض عن التوحيد	٥١
تدبر القرآن	٥٢
لص الهوى	٥٣
حقيقة التوكل	٥٣
حقيقة الحياة الدنيا	٥٤
المبالاة بالناس	٥٦
طريقة الدعوة إلى الله	٥٦
ثلاثة حصون	٥٧
شجرة الحياة	٥٧
زيارة القبور	٥٨
أرض الفطرة	٥٩
الأشياء الضائعة	٦٠
أصول الخطايا	٦٢
أولويات محاسبة النفس	٦٢
علماء أم قطاع طرق؟	٦٤
أنواع الفقر	٦٤
الاستغناء بالله	٦٥
الإخلاص	٦٦
الإيمان والعلم	٦٦
حقيقة الإيمان	٦٧
المواساة	٦٨
أفضل الذكر	٦٩
ضيوف	٦٩
كفاه الله	٧١
هجرتان	٧٢
الظلمات ثلاث	٧٢
علامات السعادة	٧٣
التعرف على هديه ﷺ	٧٤
الصدق	٧٥
دعوى الجاهلية	٧٥
لحظات معدودة	٧٦

الموضوع	الصفحة
غفلة	٧٦
محاسبة النفس	٧٧
معرفة الحق	٧٧
آفتان في اللسان	٧٨
القرب والبعد من الله	٧٩
طريق الاستقامة سهل ميسور	٧٩
متى يستجاب الدعاء	٨٠
دمعة	٨١
طالب ومطلوب	٨٢
استعاذة من قرينين	٨٢
المنة لله وحده	٨٤
اشتراك وتفاوت	٨٥
كيف يَسْلَم؟	٨٥
طريق المعرفة	٨٦
انكسار المعصية	٨٧
تعجب	٨٨
مراتب التقوى	٨٨
العبرة	٨٩
زواج يولد الشر	٨٩
مادة كل فساد	٩٠
في دائرة الخير	٩٠
لو كنت فعلت؟!	٩١
آثار الهم والحزن	٩٢
أولويات	٩٣
قلب لا تؤثر فيه المواعظ	٩٤
الشيطان نوعان	٩٥
طغيان الألفاظ	٩٦
انشراح الصدر بترك الفضول	٩٦
روح الصلاة	٩٧
فقر هو الغنى	٩٨
غرور الأماني	٩٨
مداخل الشيطان	٩٩
احذر الجانب الآخر	١٠٠
النعم ثلاثة	١٠١
حتى لا يصبح الشر عادة	١٠٢
طريق الوصول	١٠٢
الهم والحزن	١٠٣
غلط في التوكل	١٠٤
النعمة العظمى	١٠٥
سؤالان	١٠٦
بداية وخاتمة	١٠٦
في رحاب فضل الله	١٠٧
الربانيون وجهاد النفس	١٠٨
انتهاز الفرص	١٠٩
خدع النفوس	١١٠
الإحسان إلى الخلق	١١١
لوازم الرجاء	١١١

الموضوع	الصفحة
إحكام الأساس	١١٢
إذا جاء وقت العجين	١١٣
تلاوة القرآن	١١٤
سلطان الكلمة	١١٥
سبيل الخلاص	١١٥
الخوف من سوء الخاتمة	١١٦
العلم إمام العمل	١١٨
التفاوت بين الناس	١١٩
إهمال الآباء	١٢٠
داء الجهل	١٢١
عندما يستجاب الدعاء	١٢١
جوامع الخير	١٢٢
الافتقار إلى العلم	١٢٤
تضييع الأمر من الجهل	١٢٤
يظنون بالله غير الحق	١٢٥
معرفة إبليس	١٢٦
تدبر آيات القرآن	١٢٨
الإسلام وراء ذلك	١٢٩
التوبة طريق النجاة	١٣٠
من لا يعرف الجاهلية	١٣١
تمام العبودية	١٣٢
والحمد لله تملأ الميزان	١٣٣
علامة السعادة	١٣٦
بين السجدتين	١٣٦
السكر بحب الدنيا	١٣٧
طهارتان	١٣٨
فساد العلماء والعباد	١٣٨
أولاد العالم	١٣٩
لنهدينهم سبلنا	١٤٠
اجتناب الشبهات	١٤١
الصلاة	١٤٢
معاملة النفس	١٤٣
دابة لا تعمل بعلفها	١٤٤
متى رأيت	١٤٤
الأعداء ثلاثة	١٤٥
تحذير من الظلم	١٤٦
كان التصوف	١٤٧
الإخلاص في طلب العلم	١٤٧
تدرج الأحكام	١٤٩
لا تكن الرابعة	١٥٠
أمام الباب المسدود	١٥٠
تأمل العواقب	١٥٠
التخلف عن الرسول	١٥١
مواعظ قصيرة	١٥٢